# حلمى سالم

## غيب الموت جسده لكن روحه حاضرة

كنت قد اتصلت بالصديق الشاعر حلمى سالم مساء الجمعة الموافق ٢٧ يوليو ٢٠١٢ ، لأذكره بموعد ندوة (الثورة والأدب والفن والوطن بعد ثورات الربيع العربي) بمقهى الجيزة الثقافي، الذى أقمناه هذا العام فى رمضان بنادى الطالبية الرياضى بالهرم، التى كان مقررا مشاركته فيها متحدثا، وجاءنى صوته الحنون الدافئ الأجش بالموافقة والتأكيد على الحضور فى الموعد المحدد، وازدادت سعادته أكثر عندما علم بأن الدكتور أحمد الخميسى والناقد الأمير أباظة هما من سيشاركانه الندوة.وانتهت المكالمة وأغلقت المحمول موقنا بحضوره، لم يدر بخلدى لحظة واحدة إثناء المحادثة أننى سأتلقى خبر وفاته ظهيرة اليوم التالى مباشرة السبت الموافق ٢٨ يوليو ٢٠١٢ ، نزل علىّ الخبر كالصاعقة سائلا محدثى كيف تم هذا وقد كنت أحادثه بالأمس، ولم يبد عليه أى أمارات تشير بدنو أجله؟!. كدت لا أصدق ولكننى أيقنت بأن الموت يأتى بغتة دون استئذان، ليختطف منا أطيب الثمار وأنضجها، وكما قال الشاعر طاهر البرنبالى فى تعبير

بسيط ودال: (الموت شواف يا صاحبي، الموات شواف، بيجى ع الشجر العالي، وبيقطف أطيب ثمرة)، ولم أكن أتخيل أيضا أن القدر سيرسم ملامح النهاية لشاعرنا بهذه السرعة وهو فى عز عطائه الإبداعي، وعن عمر يناهز ٦١ عاما، بعد معاناته مع مرض السرطان الذى أصيب به منذ عام تقريبا، ولم يقدر على قهره، ليصاب بمرض الكلى ويكون سببا فى الموت، لتشيع جنازته فى نفس يوم رحيله بقرية الراهب بمحافظة المنوفية مسقط رأسه، ولم يدر بخلدى أيضا أننى سأكون على موعد معلوم لأقرأ قصائد ديوانه (أرفع رأسك عالية) الذى صدر مؤخرا عن هيئة الكتاب فى الأمسية الأولى بواحة الشعراء بالحديقة الثقافية بالسيدة زينب، ضمن برنامج الهيئة العامة لقصور الثقافة، وفى نفس يوم رحيله، والذى كان مقررا مسبقا أن أقدمها، بعدما اتصل بى الصديق الشاعر محمد أبو المجد رئيس الإدارة المركزية للشئون الثقافية بالهيئة يعزينى فى رحيل حلمى سالم، مؤكدا ضرورة أن أقرأ قصائده كفواصل بين شعراء الأمسية، فرحت بالاقتراح، ولكننى تألمت ستكون المرة الأولى التى سأقرأ فيها قصائد حلمى على الجمهور، ستكون بعد أن غيبه الموت.

ومن حسن حظى أننى قد حضرت الأمسية التى أقيمت له فى نقابة الصحفيين، عقب نجاح العملية الجراحية التى أجريت له بمستشفى القوات المسلحة بالمعادي، وقد قرأ فى هذه الأمسية قصائد هذا الديوان بمصاحبة أحد العواديين

– لا يحضرنى اسمه – فقد سجل فى ديوانه (أرفع رأسك عالية) رؤيته وشهادته عن ثورة الخامس والعشرين من يناير وثورات الربيع العربي، ليتركها فى ذمة التاريخ، وأثناء إدارتى للأمسية شعرت بروح الراحل تحوم فى المكان، بعد أن أعلنا أن هذه الأمسية مهداة له، ويأتينى صوته الجرئ الرائع وهو يلقى قصيدة (أغنية الميدان) التى يقول فيها: «أرفع رأسك عالية أنت المصري/ الضارب فى جذر الماضى العصري/ خالق أديان المعمورة، مكتشف الهندسة، ومبتكر الري/ صاحب درس التحنيط ومبتدئ الرقص/ وخلاط القدسية بالبشري/ ارفع رأسك عالية أنت المصري/ الصامت صبرا لا إذعانا/ بل تطويل للحبل الشانق كل بغي/ لا جرت على جار، لا لوثت النيل، ولا أنكرت نبي/ أنت موحد شطرين/ وواصل شطين/ وجامع أشلاء فتاك على دلتا النهرين/ ونساج الظلمة بالضي/ أرفع رأسك عالية أنت المصري، الخ.

## حضور طاغ

كان لحلمى – رحمه الله – حضور طاغى وكاريزما شعرية لم نعهدها فى شاعر من قبل سوى عند محمود درويش، فهو من أصحاب القامات العالية فى الشعر العربي، وكان أبرز أعضاء جماعة إضاءة ٧٧ التى كونها مع رفقاء دربه من شعراء السبعينات، مثل: على قنديل، جمال القصاص، حسن طلب، أجد ريان، رفعت سلام

وغيرهم، وكان لها منفستو خاص بها ورؤية واضحة فى تلك الفترة الملتبسة سياسيا وثقافيا من عمر الوطن، ولم يتوقف دور حلمى على كتابة الشعر فقط بل كان ناشطا سياسيا وثقافيا منذ أن كان طالبا فى بداية السبعينات، فشارك فى الحركة الطلابية، ثم سافر إلى بيروت أيام الحرب الأهلية ليرجع لنا بكتاب مهم (بيروت تحت الحصار) الذى دون فيه رؤيته ويومياته عن هذه الحرب، ثم عاش أيضا عام ١٩٨٢ تجربة الاحتلال الإسرائيلى فى بيروت.

ما أقسى الموت الذى يختطف منا من نحبهم واحدا تلو الآخر، وحلمى سالم كان مناضلا شرسا وعنيدا كنا فى أمس الحاجة له فى تلك الفترة التى تهاجم فيها الثقافة، ويحاول المتأسلمون محو هويتنا الثقافية والفنية، ومحاولين الرجوع بنا لعصور التخلف والانحطاط.

لم يتوقف الراحل يوماً عن الإبداع بل ظل يبدع لأخر لحظة فى عمره، كان ينبوعا فياضا متدفقا شعرا ونثرا، يصارع الزمن شاعرا بأن العمر قصير، ولم أره – حتى فى عز مرضه – إلا متفائلا بشوشا حميما فى لقائه، كريم فياض.

## اللقاء الأول

ما زلت أتذكر لقائى الأول به فى بداية التسعينات بكفر الشيخ، رغم مرور أكثر من ٢٢ عاما عليه، كان مشاركا



openkanal.com

فى الاحتفال بذكرى الشاعر على قنديل، كنت وقتها لم أزل فى بداية طريقى الإبداعي، لم أنس حتى اللحظة تلك الابتسامة الصافية والحميمية التى قابلنى بها، وازدادت أكثر بعدما استمع إلى قصائدى فى الأمسية وأثنى علىّ ووعدنى بنشر قصائدى بمجلة أدب ونقد والتى كان – وقتها – يدير تحريرها، أيام أن كانت الناقدة فريدة النقاش ترأس التحرير، وكان لهذه المجلة دور بارز فى تثقيفنا وتنويرنا، وكنا نتخطف أعدادها فى كفر الشيخ فور صدورها، يومها حمل حلمى قصائدنا أنا ورفاقى من الشعراء، وعاد إلى القاهرة، وعدت أدراجى إلى قريتى برنبال، وظننت أنه لن يهتم بنا ولا بقصائدنا وسوف يتخلص منها فور مغادرته كفر الشيخ، لأفاجأ بنشر إحدى قصائدى فى العدد التالى مباشرة، كانت فرحتى كبيرة لأنها صارت بمثابة ميلادى الحقيقي، من يومها أحببت حلمى سالم، وكنت أتردد عليه فى مجلة أدب ونقد على فترات متباعدة فى مقرها القديم بشارع ثروت بوسط البلد، فى زيارات خاطفة للقاهرة، حاملا معى قصائدى لتوزيعها على الدوريات الثقافية، وكانت مقابلته صادقة وحميمية ودافئة ويغمرك بكرمه، فقبل أن تجلس يسألك بود: تشرب أيه؟ وفور أن أجلس يقول: أين قصائدك؟ فأعطيه قصيدة أو قصيدتين فيقرأهما على الفور، ويهز رأسه ويقول: جميل، ثم يحيل قصيدة منهما إلى الشاعر إبراهيم داود الذى كان يعمل

obeikandl.com

سكرتيراً لتحرير المجلة فى فترة من فتراتها الزاهرة موقعا عليها للنشر، أعود إلى كفر الشيخ وقد تركت هذه المقابلة انطباعا جيدا فى داخلى يظل إلى أن ألتقى به مرة أخرى.

ظللت سنوات على هذه الحالة إلى أن انتقلت للعمل بإدارة الثقافة العامة بهيئة قصور الثقافة بالقاهرة فى منتصف التسعينيات، ومن خلال عملى بهذه الإدارة كثير ما رافقت حلمى سالم فى القوافل الثقافية التى كانت تطلقها الهيئة لتجوب مصر من أقصاها إلى أقصاها، لتدعيم الحركة الثقافية فى الأقاليم، لم أجد إخلاصا وحبا صادقا من أحد من الشعراء مثلما شعرت مع حلمى سالم، الذى كان يدفئنا بنكاته، وظرفه، وكاريزماته الطاغية، وثقافته الغزيرة والعميقة.

كان الراحل أبرز شعراء جيله على الإطلاق، وأغزرهم إنتاجا وتنوعا، واشتباكا مع الواقع الثقافي، كان شديد الوضوح فى مواقفه، لم يمالئ أحدا، ولم ينافق صاحب سلطة أو جاه، بل ظل صامدا مدافعا عن مواقفه الرافضة لأى نوع من أنواع الخضوع والامتهان، يكتب قصيدته المتمردة بحرية مراهنا عليها ومدافعا عنها، ولأنه مثقف طليعى ينتمى إلى اليسار المصري، فقد دفع ثمن اختياره وانحيازه إلى الفقراء والبسطاء من أبناء هذا الشعب، باعتباره واحدا منهم، دافع عن قضاياهم، وتبنى مشاكلهم وشكلها من وجدانه ومشاعره قصائد رائعة ومقالات متعمقة، فى مجلة أدب ونقد التى يرأس تحريرها، وجريدة

الأهـالى التـى كان يعمـل صحفيا بهـا ورئيسـا للقسـم الثقـافي.

## أزمة شرفة ليلى مراد

وبـوم نشـر حلمـى سـالم قصيدتـه الشـهيرة «شـرفة ليلـى مـراد» بمجلـة إبـداع التـى تصدرهـا هيئـة الكتـاب، ويـرأس تحريرهـا الشـاعر عبـد المعطى حجـازي، قامـت الدنيـا – وقتهـا – ولم تقعـد، وكانـت سـببا فـى أزمـة كـبرى بـين التيـار المتشـدد والمثقفـين المصريـين، فجرهـا أحـد الشـيوخ الـذى بـادر برفـع دعـوى قضائيـة لسـحب ترخيـص مجلـة إبـداع، وعلـى أثرهـا صـودر العـدد مـن المطبعـة، ولم يكتـف هـذا الشـيخ بذلـك بـل طالـب بسـحب جائـزة الدولـة للتفـوق مـن حلمـى الـذى كان فـاز بهـا قبـل هـذه الأزمـة بقليـل، وكانـت هـى الأزمـة الأشـرس فـى حيـاة الراحـل فقـد وجـد نفسـه بـين ليلـة وضحاهـا محاصـرا بتهـم تكفيريـة مـن العيـار الثقيـل مثـل: كافـر، وملحـد، وزنديـق، لأنـه – مـن وجهـة نظـر الجماعـة المتشـددة – يسـب الـذات الإلهيـة، وهـى تهمـة قديمـة نالـت كبـار كتابنـا ومفكرينا ومبدعينـا، علـى مـدار التاريـخ، منهـم علـى سـبيل المثـال: د. طـه حسـين عـن كتابـه «فـى الشـعر الجاهلـي»، والشـيخ علـى عبـد الـرازق عـن كتابـه «الإسـلام أصـول الحكـم» وأديبنـا العالمـى نجيـب محفـوظ عـن روايتـه «أولاد حارتنـا» ونصـر حامـد أبـو زيـد، فـرج فـوده وغيرهـم مـن الأدبـاء والمفكريـن، وأصبـح حلمـى بفضـل هـذه القصيـدة ضيفـا ثابتـا علـى برامـج التـوك شـو

بالقنوات الفضائية والأرضية، والصحف السيارة والإلكترونية، ولولا موقف المثقفين المصريين ضد هذه الهجمة البربرية الشرسة ما قام لهم قائمة بعد ذلك، وخاض حلمى هذه المعركة باستبسال منقطع النظير، وقال يوم أن اتهموه بإساءة الذات الإلهية فى القصيدة: لقد انتقدت فى القصيدة تواكل المسلمين على الله، وقعودهم خاملين، وهذا معنى دينى ذكر فى القرآن الكريم، حيث قال تعالي: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) فالقصيدة قالت هذا المعنى بصورة شعرية بسيطة، لم يعتد عليها كل الذين يقرأون الأدب قراءة حرفية ووثق هذه التجربة فى كتاب (محاكمة شرفة ليلى مراد) صدر عام ٢٠٠٨.

وبمرور الوقت هدأت الدنيا من حوله لكن حلمى لم يهدأ، ولم يخمد أتون الإبداع المتأجج بداخله، رغم إحساسى بحزنه العميق الذى ترك بالقلب ندبا من جراء هذه الهجمة التى حاولت جاهدة تشويه صورته ومسيرته الإبداعية، لتأتى دواوينه متتالية، شاهدة على تنوعه وثرائه فكل ديوان يعتبر مرحلة جديدة، وتجربة بذاتها إلا أنها لم تنفصل بحال عن مشروعه الإبداعى الكبير.

كان الراحل ينحاز دائما إلى الجيد من الإبداع، وإلى أصحاب المواهب الكبرى يتبناهم ويدافع عنهم بل يرشحهم لنيل جوائز مصرية وعربية.

ظلت علاقتى به جيدة طوال هذه السنوات، كنت لا أراه لفترات طويلة لانشغالى فى طاحونة العمل اليومي، وما نلتقى مصادفة فى وسط القاهرة، إلا ويغمرنى - كعادته - بمحبته وصدقه، ويسألني: عامل إيه الشعر معاك؟ وأين قصائدى من أدب ونقد؟ فأعده بأن أمر عليه فى المجلة لأراه وأترك له بعض قصائدي، ونادرا ما كنت أذهب إليه فى السنوات الأخيرة، لكن الود ظل موصولا بيننا لآخر يوم فى حياته.

## إنقاذ أدب ونقد

ولا أنسى يوم أن تعرضت «أدب ونقد» للتوقف بعد أن تخلى حزب التجمع عن دعمها للتقليص فى الإنفاق، وبذل الراحل جهدا مضنيا لإنقاذ المجلة من التوقف، وظل يتصل بكل المؤسسات الثقافية الحكومية لتدعيم المجلة، يومها شعرت أن أدب ونقد بنته البكر التى يخشى عليها خشيته على روحه، فقد قضى بها زهرة شباب عمره معتبرها جزءاً أصيلا وركنا ركينا من مشروعه الإبداعي، ورسالته السامية التى قدم من خلالها أجيالا متعاقبة من المبدعين، وملفات فى غاية الأهمية تهم كل مثقف مصرى وعربي.

ومن ثم أطرح سؤلا يلح على: هل ستستمر «أدب ونقد» بعد رحيل حلمى سالم؟ وهل ستجد من يدافع عن وجودها مثلما دافع الراحل باستبسال عنها؟ أتمنى أن تجد المجلة من يقف خلفها، ويرفع عنها شبح التوقف، وأن يدرك

الأدباء أن غلق هذا المنبر المهم الذى حمل مشعل التنوير سنوات طويلة، مدافعا عن حرية الفكر والاعتقاد، وفى وقت عز فيه أن نجد منبرا ثقافيا أخر يسد الفراغ الذى تشغله أدب ونقد، خاصة بعد تصعيد التيار الدينى المعادى للثقافة والمثقفين وهيمنتهم على مقدرات البلاد والعباد، ويرون أن الإبداع نوع من أنواع اللهو الذى يؤدى بصاحبه إلى النار.

رحم الله شاعرنا الكبير حلمى سالم، الذى رحل عن دنيانا فى أيام مباركات من شهر رمضان المعظم نحسبه عند الله من الشهداء، على ما قدمه لحياتنا الثقافية المصرية والعربية.

---

★ نشرت فى جريدة القاهرة فى ١٤ أغسطس ٢٠١٢



obeikandi.com